هل الله موجود فعلاً ؟ كيف ستجيب ؟

من الممكن الدفاع عن المسيحية بالمنطق
بدون اتهامك بالإيمان الأعمى

نشر لأول مرة
مجلة الخليقة 20 (3) : 32 - 34
يونيو 1998

بقلم "كين هام"

كل شيء تقريباً له بداية : هذا ما نتعلمه من حياتنا اليومية . فى الواقع قوانين العلم تبين لنا أن حتى الأشياء التى لا يتغير شكلها خلال الفترة الزمنية التى نعيشها ـ مثل الشمس والنجوم الأخرى ـ تفنى شيئاً فشيئاً . تستهلك الشمس وقودها بمقدار ملايين من الأطنان كل ثانية ، لذلك لا تستطيع الاستمرار إلى الأبد ، لابد لها من بداية . نفس الشيء من الممكن أن ينطبق على الكون كله .

عندما يعلن المسيحيون أن إله الكتاب المقدس خلق الكون بأكمله سيسأل البعض سؤالاً سيبدو منطقيًا وهو "من أين جاء الله ؟"

يوضح الكتاب المقدس أكثر من مرة أن الله خارج نطاق الزمن . فهو أبدى ، ليس له بداية أو نهاية ، غير محدود ! يعرف كل شيء ، لأنه يتمتع بذكاء غير محدود[1] .

هل هذا أمر منطقى ؟ هل يسمح العلم الحديث بهذا المفهوم ؟ كيف ستجد الدليل على وجود خالق ذكى ؟

تمييز الذكاء

يتحمس العلماء جدًا عند عثورهم على أدوات حجرية فى كهف ما لأنها تدل على الذكاء ـ على صانع هذه الأداة . فهى لم تصمم نفسها بنفسها ، كما لا يوجد من يصدق أن وجوه الرؤساء

المنحوتة على جبل "راشمور" هى نتيجة عوامل التعرية وتآكل الصخور لملايين السنين . من الممكن أن نعترف بوجود تصميم ما ـ أعمال تدل على الذكاء والتفوق ـ فى الأشياء المصنوعة بيد بشرية .

وبالمثل فى جدال "وليام بالى" الشهير ، الساعة تتطلب صانع ساعات[2] . لكن اليوم نسبة كبيرة من الناس ـ بما فيهم العلماء ـ يؤمنون أن كل النباتات والحيوانات ـ بما فيهم العقول المعقدة لناس صنعت ساعات ومواتير سيارات... إلخ ـ لم يخلقها إله ذكى بل أتت نتيجة عملية تطورية غير ذكية . لكن هل هذا يصلح ليكون موقفاً دفاعيًا ؟

التصميم فى الكائنات الحية

عالم الأحياء الجزيئية الملحد د. "مايكل دنتون" كتب يقول :
"بجانب مستوى البراعة والتعقيد الظاهر فى الآليات الحياتية التى تعمل بها الجزيئات ، حتى فى الآليات الأكثر غباءً (كما تبدو تكنولوجيا القرن العشرين) ... ستكون متوهمًا إذا ظننت أن ما تعرفه اليوم يُعد جزءاً ضئيلاً من حجم التصميم البيولوجى الضخم . فى كل فرع من فروع البحث البيولوجى الأساسى تظهر مستويات التصميم والتعقيد المتزايدة بمعدل متسارع جدًا"[3] .

صرح البروفيسور "ريتشارد دوكنز" أشهر مدافع عن نظريات "داروين" والإلحاد :
"لقد رأينا أن الكائنات الحية "مصممة" بطريقة مدهشة جدًا وجميلة جدًا حتى تأتى إلى الوجود بطريق الصدفة"[4] .

ومن ثم نرى أن حتى أكثر الملحدين حماسًا يعترف بأن التصميم محيط بنا من كل جانب . لكن بالنسبة لوجهة النظر المسيحية فإن التصميم المحيط بنا يتوافق تمامًا مع ما يعلمه الكتاب المقدس وهو أن الله خلق كل شىء .

وبالرغم من ذلك فإن أصحاب مذهب التطور مثل "دوكنز" يرفضون فكرة وجود "مصمم" ويكتب قائلاً :
كل المظاهر تبدو على عكس ظاهرها ، صانع الساعات الوحيد فى الطبيعة هو القوى الفيزيائية العمياء الظاهرة بشكل متميز جدًا . صانع الساعات الحقيقى يتمتع ببصيرة نافذة : فهو يصمم

التروس والزنبركات ويخطط لترابطهم لتحقيق هدف مستقبلى رسمه فى ذهنه . الانتقاء الطبيعى وهو العملية العمياء الغير واعية والأوتوماتيكية التى اكتشفها "داروين" ونعرف الآن أنها تفسر وجود وهدف كل شكل من أشكال الحياة ليس لها أى هدف فى ذهنها... ليس لها أى ذهن... . لا تخطط للمستقبل... إنها صانع الساعات الأعمى"[5] .

الانتقاء والتصميم

الحياة مبنية على المعلومة الذى يحتويها جزىء الوراثة أى الحمض النووى . "دوكنز" يؤمن بأن الانتقاء الطبيعى[6] والتحور (أخطاء عمياء بلا فائدة متناسخة فى هذا الحمض النووى) يوفران معًا آلية انتاج الكميات الضخمة من المعلومات المسئولة عن التصميم فى الكائنات الحية[7]

الانتقاء الطبيعى هو عملية منطقية من السهل ملاحظتها . لكنه لا يعمل إلا على المعلومة الموجودة فى الجينات ـ فهو لا ينتج معلومة جديدة[8] . وهذا يتماشى مع ما ورد فى الكتاب المقدس عن الأصول ، الله خلق أنواعًا متميزة من الحيوانات والنباتات ، وعلى كل منهم يتوالد وينتج نوعه .

قد تستطيع أن تلاحظ التنوع الضخم فى النوع الواحد وترى نتائج الانتقاء الطبيعى . فمثلاً الدنج (الكلب الأسترالى) والذئب وذئب شمال أمريكا تطوروا عبر الزمن كنتيجة للانتقاء الطبيعى الذى يعمل على المعلومة الموجودة فى جينات جنس الذئب/ الكلب .

لكن لم تظهر معلومة جديدة ـ هذه التنويعات نتجت عن إعادة ترتيب وفرز المعلومة فى جنس الكلب الأصلى . لم يتم ملاحظة جنس واحد تغير إلى جنس آخر مختلف تمامًا بمعلومة جديدة لم تتواجد من قبل !

بدون أى وسيلة لزيادة المعلومة فإن الانتقاء الطبيعى لن يعمل كآلية للتطور . يوافق مناصرو نظرية التطور على ذلك ، لكنهم يروا أن التحورات توفر بطريقة ما المعلومة الجديدة للانتقاء الطبيعى حتى يعمل من خلالها .

هل التحور يوفر معلومة جديدة ؟

من الواضح الآن أن الإجابة **"لا"** ! د. "لى سبيتنر" عالم قدير ـ وكان يُدرس نظرية المعلومة والاتصالات بجامعة "جونز هوبكنز" ـ شرح ذلك فى أحدث كتبه :

" سأطرح فى هذا الفصل عدة أمثلة عن التطور (أمثلة يزعمون أنها أمثلة عن التطور) وخاصة عن التحور وسأبين أن المعلومة لا تزداد... لكن فى كل دراساتى التى قمت بها فى مجال علوم الحياة لم أجد أبدًا تحورًا أدى إلى زيادة المعلومة[9] .

"كل درجات التحور التى تمت دراستها على مستوى الجزىء ظهر أنها تقلل المعلومة الجينية ولا تزيدها[10] .

"من المفترض أن نظرية داروين الحديثة تبرر كيف أن معلومة الحياة تراكمت بمساعدة التطور. الاختلاف البيولوجى الجوهرى بين الإنسان والجرثومة يكمن فى المعلومة التى بداخلهما . كل الاختلافات البيولوجية الأخرى تنتج عن ذلك . الجينوم البشرى لديه معلومات أكثر جدًا من الجينوم البكتيرى . لا تتراكم المعلومات بالتحور الذى يفقدها . أى عمل تجارى لا يمكنه ربح الأموال وهو يفقدها تدريجيًا عبر الزمن[11] ."

"علماء التطور ليس بيدهم حيلة أمام الاستنتاجات التى توصل إليها علماء كثيرون بما فيهم د."سبيتنر" . التحور لا يعمل كآلية ليدعم عمليات التطور .

مزيد من المشاكل والتعقيدات !

اكتشف العلماء أن بداخل الخلية الواحدة يوجد آلاف من ما يُسمى "آلات بيوكيميائية" . ولابد أن تكون كل أجزائها فى مكانها المناسب فى وقت واحد وإلا لن تتمكن الخلية من إجراء عملها . الأشياء التى كانوا يظنون أنها آليات بسيطة ، مثل استشعار الضوء وتحويله إلى نبضات كهربية ، هى فى واقع الأمر معقدة للغاية .

بما أن الحياة مبنية على هذه الآليات إذاً ففكرة امكانية العمليات الطبيعية القيام بمنظومة حية هى فكرة يصعب الدفاع عنها . يستخدم د. "مايكل بيهى" عالم الكيمياء الحيوية مصطلح "تعقيد يتعذر تبسيطه" فى وصف هذه الآلات البيوكيميائية .

"...أنظمة معقدة بطريقة مروعة وغير قابلة للتبسيط تعيش داخل الخلية . سيؤدى ذلك إلى الإدراك أن الحياة مصممة من قبل كائن ذكى للغاية مما يُعد صدمة لنا فى القرن العشرين لأننا اعتدنا الاعتقاد بأن الحياة نتجت من مجرد قوانين طبيعية بسيطة . لكن هناك قرون أخرى تلقت الصدمة ولا يوجد مبرر للافتراض بأن علينا تفاديها[12] ".

"ريتشارد دوكنز" اعترف بهذه المشكلة وهى الحاجة إلى "الآليات" كمجرد بداية عندما قال : "إن نظرية صانع الساعات الأعمى نظرية قوية للغاية بافتراض أنه مسموح لنا بقبول التكرار وبالتالى الانتقاء التراكمى . لكن إذا احتاج التكرار إلى آليات معقدة ـ بما أن الانتقاء التراكمى هو الطريقة الوحيدة التى نعرفها كى تتواجد الآليات المعقدة ـ فسنواجه مشكلة كبيرة[13] ".

إنها مشكلة فعلاً ! كلما نظرنا وتأملنا كيف تسير الحياة كلما تعقدت الأمور وكلما أدركنا أن الحياة لا تستطيع أن تنشأ من تلقاء نفسها . الاحتياج ليس فقط إلى مصدر للمعلومة ولكن أيضًا إلى وجود الـ"آلات" المعقدة لكيمياء الحياة منذ البداية !

مازال هناك مشكلة أكبر !

مازال يحاول البعض الاصرار على أن ربما آليات الخلية الأولى نشأت من قبيل الصدفة . مثلاً يقولون أن إذا كتبت حروفاً أبجدية بطريقة عشوائية ومتسلسلة لكلمة "هات" ستحصل أحياناً على كلمة بسيطة مثل "بات"[14] . وهكذا بفرض مرور مدة زمنية طويلة ماذا يمنع تكوين معلومة معقدة بالصدفة ؟

لكن ماذا تعنى كلمة "بات" لشخص يتكلم الألمانية أو الصينية ؟ المقصود هو أن ترتيب الحروف بشكل معين ليس له أى معنى إلا إذا كان هناك اتفاقية لغوية ونظام ترجمة معين يجعلها مفهومة !

فى الخلية يوجد نظام مماثل (جزيئات أخرى) يجعل ترتيب الحمض النووى له معنى . حمض نووى بدون نظام لغة / ترجمة يصبح بدون معنى وهذه الأنظمة بدون الحمض النووى لن تعمل أيضًا .

المشكلة المعقدة الأخرى هى أن آلية الترجمة التى تقرأ ترتيب الحروف فى الحمض النووى هى نفسها محددة من الحمض النووى ! هذه واحدة من تلك "الآلات" التى تحتاج تشكيلاً كاملاً وإلا ما سارت الحياة فى سيرها الصحيح .

هل تنشأ المعلومة من اللا معلومة ؟

د. "فيرنر جيت" مدير وأستاذ بالمعهد الألمانى الفيدرالى للفيزياء والتكنولوجيا يبين أن واحدة من الأمور التى نعرفها بكل تأكيد من العلم هى أن المعلومة لا تنشأ بالصدفة من عدم النظام . الأمر يتطلب دائمًا معلومة (أكبر) لانتاج معلومة أخرى وفى النهاية المعلومة تنتج عن الذكاء .

"نظام الشفرات هو دائمًا نتاج عملية ذهنية (يتطلب مصدر أو مخترع ذكى)... لابد من التأكيد أن مادة مماثلة غير قادرة على إنتاج أى شفرة . كل التجارب تشير إلى الحاجة إلى عقلية تمارس باختيارها إرادتها الحرة ومعرفتها وإبداعها[15] .

"لا يوجد قانون طبيعى معروف تستطيع المادة من خلاله أن تنتج معلومة ولا أى عملية فيزيائية أو ظاهرة مادية معروفة تستطيع ذلك"[16] .

ما هو مصدر المعلومة ؟

وهكذا نستطيع أن نستنتج أن كمية المعلومات الضخمة الموجودة فى الكائنات الحية لابد وأنها أتت أصلاً من كيان ذكى يفوق ذكائنا بصورة هائلة كما يكتشف العلماء كل يوم . لكن سيقول أحدهم أن مثل هذا المصدر لابد وأن نتج عن كيان ذى معلومة وذكاء أعظم منا بكثير .

إذا فكروا هكذا فمن الممكن أن يأتى أحدهم ويسأل من أين أتى مصدر هذا الذكاء والمعلومة؟ ومن أين أتى ذلك... وهكذا حتى نصل إلى عالم غير محدود إلا إذا...

إلا إذا يوجد مصدر للذكاء الغير محدود يفوق ذكاءنا المحدود . لكن أليس هذا ما يعلمه الكتاب المقدس عندما يقول : "فى البدء... الله..." ؟ إله الكتاب المقدس إله غير محدود ، لا يحده الزمن ولا المسافة ولا المعلومة ولا أى شىء آخر .

إذاً أيهما الموقف الدفاعى المنطقى ؟ المادة التى وُجدت منذ البدء (أو نشأت من نفسها بلا سبب) ثم رتبت نفسها بنفسها إلى أنظمة معلوماتية مناقضة لكل شىء يرصده العلم الحقيقى ؟ أم هناك كيان بذكاء غير محدود[17] خلق أنظمة معلوماتية للحياة متوافقاً مع العلم الحقيقى ؟

الإجابة تبدو واضحة ، فلماذا إذاً لا يقبلها كل العلماء العقلاء ؟ يرد "مايكل بيهى" قائلاً : "لا يريد أغلب الناس ، ومن بينهم علماء شهيرون وقديرون ، أن يتواجد شىء فيما وراء الطبيعة . لا يريدون كياناً يفوق الطبيعة ليؤثر عليها بغض النظر عن قصر أو فائدة التفاعل بينهما. بمعنى آخر... يجلبون لعلمهم التزامًا فلسفيًا مسبقاً يحد من نوع التفسيرات التى سيقبلونها بشأن العالم المادى مما يؤدى فى بعض الأحيان إلى تصرفات غريبة"[18] .

جوهر الأمر هو : إذا تقبل المرء فكرة وجود الله خالقنا ومليكنا فبالتالى سيكون له الحق فى إرساء القواعد التى ينبغى أن تسير عليها حياتنا . فى الكتاب المقدس أعلن لنا أننا فى حالة عصيان وتمرد مستمر ضد خالقنا . وبسبب هذا التمرد المسمى بالخطية حُكم على أجسادنا المادية بالموت لكننا سنحيا إما مع الله أو بدونه فى مكان الدينونة .

لكن البشرى السارة هى أن خالقنا منحنا ـ من خلال صليب يسوع المسيح ـ وسيلة للخلاص من خطية تمردنا حتى من يأتى إليه بإيمان تائباً عن خطاياه يقدر أن ينال مغفرة الله القدوس ويقضى الأبدية معه .

إذاً من خلق الله ؟

بحكم التعريف التقليدى ، هناك كيان أبدى غير محدود موجود دائمًا ، الله لم يخلقه أحد . إنه الكائن بنفسه ـ "أنا هو"[19] كما ورد فى الكتاب المقدس . إنه خارج حدود الزمن بل هو خالق الزمن .

قد تقول "لكن هذا يتطلب أن أقبل ذلك بالإيمان لأنى لا أستطيع فهمه" .

نقرأ فى رسالة العبرانيين "ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه لأنه يجب أن الذى يأتى إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازى الذين يطلبونه" (العبرانيين 11 : 6) .

لكن هذا ليس إيمانًا أعمى كما يظن البعض . فى الواقع فإن مناصرى نظرية التطور الذين ينكرون الله لديهم إيمان أعمى ، فهم يؤمنون بشىء ضد العلم الواقعى ، أى المعلومة التى تنشأ بالصدفة من الفوضى .

الإيمان المسيحى ليس إيمانًا أعمى بل هو إيمان عقلى يمكن الدفاع عنه . لهذا يوضح الكتاب المقدس أن من لا يؤمن بالله ليس له أى عذر .

"لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى إنهم بلا عذر" (رومية 1 : 20) .

References and notes

1. Psalm 90:2; 106:48; 147:5. Notice that it is only things which have a beginning which have to have a cause. See J. Sarfati, If God created the universe, then who created God?, *CEN Technical Journal* **12**(1)20-22, 1998. Return to text.
2. W. Paley, *Natural Theology*, 1802. Reprinted in 1972 by St Thomas Press, Houston, Texas. Return to text.
3. M. Denton, *Evolution: A Theory in Crisis*, Adler and Adler, Maryland, p. 342, 1986. Return to text.
4. R. Dawkins, *The Blind Watchmaker*, W.W. Norton & Co, N.Y., p. 43, 1987. Return to text.
5. Ref. 4, p. 5. Return to text.
6. Natural selection—the concept that some variants in a population will be less ‘fit’ to survive and/or produce offspring than others in a given environment. Return to text.
7. See C. Wieland, *Stones and Bones*, Creation Science Foundation Ltd, Australia, 1995, and G. Parker, *Creation: Facts of Life*, Master Books, Green Forest, Arkansas, 1996. Return to text.
8. L. Lester and R. Bohlin, *The Natural Limits to Biological Change*, Probe Books, Dallas Texas, pp. 175–6, 1989. Return to text.
9. L. Spetner, *Not by Chance*, The Judaica Press Inc, Brooklyn, New York, pp. 131–2. Return to text.
10. Ref. 9, p. 138. Return to text.
11. Ref. 9, p. 143. Return to text.

12. M. Behe, *Darwin's Black Box*, The Free Press, New York, 1996, pp. 252–253. Return to text.
13. Ref. 4, pp. 139–140. Return to text.
14. Actually, generating words is far simpler than sentences or paragraphs. Simple calculations show that even a billion years would not be enough time to generate even one protein 'sentence.' Return to text.
15. W. Gitt, *In the Beginning was Information*, CLV, Bielenfeld, Germany, pp. 64–7. Return to text.
16. Ref. 15, p. 79. Return to text.
17. Thus, capable of generating infinite information, and certainly the enormous, though finite, information of life. Return to text.
18. Ref. 12, p. 243. Return to text.
19. Exodus 3:14; Job 38:4;

http://www.answersingenesis.org/articles/nab/is-there-really-a-god